

الكلام « فصعب العلاء في الصعب وسهلها في السهل » أو أن هناك ضميرًا محذوفًا وتقديره « والسهل منها » والسهل الثانية خبر للأولى أى أن الوظيفة اختلفت بينهما فلا تكرر إذن . والبيت الأخير وهو الأخير من قصيدة البيت السابق ، وهو :
 فلا قطع الرحمن أصلًا أتى به فإني رأيت الطيبَ الطيبَ الأصل^(١)
 وقعت الطيب الأولى فيه مفعولًا أول ، وهى مطلقة ، الثانية وقعت مفعولًا ثانيًا وقد قيدت بإضافتها إلى « الأصل » فلا تكرر إذن ولا خصوصية بالشعر إلا إذا كان الأستاذ الدكتور أنيس - رحمه الله - يقصد تكرار اللفظ بذاته من غير نظر إلى ملابساته وموقعه من التركيب .

ومهما يكن من أمر فإن محاولة الدكتور أنيس محاولة رائدة تكفى فيها الإشارة واللمحة الدالة ، وقد فتحت الباب لدراسات أسلوبية فيما بعد ربطت بين معطيات علم اللغة والنحو وتفسير الأدب وشرحه ، ومن الواضح - كما يقرر رينيه ويلك - « أن دارس الأسلوب لا يمكنه التقدم فى حقله ما لم يلم بالنحو بكل فروعها - بالصوتيات وعلم الأصوات الدالة ، بالصرف ، والتركيب ، وعلم المعاجم وعلم المعانى »^(٢) .

ولعل السؤال الآن هو : هل هذه الملامح التى لاحظها الدكتور إبراهيم أنيس لا تخص إلا الشعر وحده أو - على حد تحرزه الدقيق - لا تخص إلا المتنبي وحده ؛ والإجابة على هذا السؤال تقرر أن النظام اللغوى للعربية قديم مرونة كبيرة فى التقديم والتأخير اعتمادًا على قرائن متعددة فى الجملة ومن أهمها العلامة الإعرابية ، واللغات التى فقدت الإعراب ، أو ليس الإعراب من خصائصها هى التى تلتزم بمواقع الوظائف النحوية التزامًا ثابتًا ، وليس معنى هذا أن نكف عن البحث فى لغة الشعر وأن نضرب الذكر صفحًا عن محاولة تعرف خصائص الجملة فيه لكن ينبغى أن نسلك فى ذلك سبيلًا صحيحة تساعد على تحقيق هذه الغاية .

(١) ديوان المتنبي : ٥٢١ .

(٢) رينيه ويلك ، مفاهيم نقدية : ٤٣١ (ترجمة الدكتور : محمد عصفور - عالم المعرفة ، الكويت) .